الرسالة المُجبِرة للأفئدة المُتعثِرة

من تأليف :ضياء الدين ملوك 1447

المقدمة:

الحمد لله كما يليق لعظمته وجلاله، وسبحانه وتعالى الكامل في أسمائه وصفاته، نسأله من فضله الواسع وتمام رضوانه، ونعوذ به من سخطه وخذلانه، ثم الصلاة والسلام على من كلفه الله بنشر رسالته وتبيانه، أما بعد:

فكما لا يخفى على ذهن عاقل مبصر بما حوله، أنه من أخطر ما يصبب العبد المؤمن من بعد جهله بالعقيدة السليمة، وهو ما يجده من الحزن والهم، فإن عجز الشيطان إزاغته عن الحق من باب اتباع الهوى والجهل بما أنزله الله، جاهد بكل ما أوتي – وهي آخر فرصة يملكها ليضله – على أن يدخل في قلبه شيئًا من أمراض القلوب، لأنها تُحبط الهمة، وتُضعف العبادة، وقد تورث ما هو أسوأ وأشد شرًا والذي هو من أسباب تأليفي لهذا الكتاب، ألا وهو ظن السوء بالله وأنه ليس حكيمًا في قراراته ولا مبصرًا بحال مخلوقاته، والعياذ بالله تعالى عن هذا الشرك وقد منَّ الله عليَّ بجمع ما يسَّره لي من علم وما أناره لي من بصيرة في هذا الكتاب، ليكون – بإذن الله – جلاءً وجبرًا لكسور القلوب وأمراضها، ومعيدًا النفوس إلى فطرتها، وحصنًا منيعًا – بعد مشيئة الله – من نزغات الشيطان ووساوس النفس وشرورها كما انني حاولت قدر

المستطاع تسهيل كلماته واختصار جمله ومقاصده ليكون كأساس يُرجع له حين ضعف النفس وتمكن الشيطان منها.

فإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وإن أحسنت فما هو إلا محض فضل من الله وحده سبحانه جل في علاه.

الجزء الأول: التأسيس

الباب الأول: اعرف منزلتك

اعلم – رحمك الله – أنك لست إلا عبدًا خلقه الله من ماء مهين، بدايته من نطفة تُمنى ،ونهايته جثة تفنى وإن حياتك ومماتك، وروحك وجسدك، وسمعك وبصرك، ورزقك وناصيتك بين يديه سبحانه وتعالى، يفعل بك ما يريد. إن شاء بعظيم رحمته رحمك، وإن شاء بتمام عدله أخذ بذنوبك، وأنه هو القاهر فوق عباده سبحانه جل في علاه. فإن اعتقدت بهذا الإعتقاد، علمت مقدار ضعفك ووهنك ،وأنك لا تملك لنفسك ضرًا ولا نفعًا، وتحقق في قلبك توحيد الله وتوقيره وتعظيمه، وصدقت اللجوء إليه، وصرت كلما نزلت بك مصيبة قلت: "مالك يتصرف في ملكه كيف يشاء"، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ {1}

وقال السعدي رحمه الله في تفسير الآية:

"فالصابرون هم الذين فازوا بالبشارة العظيمة والمنحة الجسيمة، ثم وصفهم بقوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ وهي كل ما يؤلم القلب أو البدن

---

1. سورة البقرة 156

أو كليهما مما تقدم ذكره. ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ أي: مملوكون لله، مدبرون تحت أمره وتصريفه، فليس لنا من أنفسنا وأموالنا شيء. فإذا ابتلانا بشيء منها، فقد تصرف أرحم الراحمين بمماليكه وأموالهم، فلا اعتراض عليه. بل من كمال عبودية العبد علمه بأن وقوع البلية من المالك الحكيم الذي هو أرحم بعبده من نفسه، فيوجب له ذلك الرضا عن الله والشكر له على تدبيره لما هو خير لعبده وإن لم يشعر بذلك. ومع أننا مملوكون لله، فإنا إليه راجعون يوم المعاد، فمجازى كل عامل بعمله. فإن صبرنا واحتسبنا وجدنا أجرنا موفورًا عنده، وإن جزعنا وسخطنا لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر. فكون العبد لله وراجع إليه من أقوى أسباب الصبر". {2}

فإن حققت المطلوب منك فالابتلاء – صابرًا عند المحن وشاكرًا عند النعم – فأبشر بخيري الدنيا والآخرة، وهو ما دلت عليه الآية التي تليها: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ {2}

فتنال مطلوب كل إنسان في الدنيا وهو طمأنينة النفس واستقرارها،

---

2. سورة البقرة 157

3. تفسير السعدي & تيسير المنان – ص75

والتوفيق والتيسير والبركة في كل امور دنياك علاوة على تكفير الذنوب ورفعة الدرجات في آخرتك، كما قال ﷺ: «من كانتِ الآخرةُ هَمَّهُ جعلَ اللَّهُ غناهُ في قلبِهِ وجمعَ لَه شملَهُ وأتتهُ الدُّنيا وَهيَ راغمةٌ ، ومن كانتِ الدُّنيا همَّهُ جعلَ اللَّهُ فقرَهُ بينَ عينيهِ وفرَّقَ عليهِ شملَهُ ، ولم يأتِهِ منَ الدُّنيا إلَّا ما قُدِّرَ لَهُ». {4}

وإن من مسببات السخط وانعدام الصبر على المحن، هو الإعتقاد الخاطئ لحياة الإنسان في الدنيا، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [{5}

فقال سعيد بن جبير: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ في شدة وطلب معيشة. وقال عكرمة: في شدة وطول. وقال قتادة: في مشقة. {6}

وقد سُئل الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله) متى الراحة يا إمام؟ قال: عند أول قدم توضع في الجنة. {7}

---

4. صحيح الترمذي 2465
5. سورة البلد: 4
6. تفسير ابن كثير سورة البلد الاية 4
7. كتاب طبقات الحنابلة – لابن أبي يعلى – ت الفقي – ج1 ص293

فما دامت روحك بجسدك فأنت لا زلت في دار جهاد واجتهاد. وكلما رسخ هذا الأمر عندك طابت نفسك، واطمأن قلبك، وارتاح عقلك، وأيقنت أن كل ما فاتك من لذات الدنيا فهو ملاقيك بأحسن وأكرم منها في آخرتك.

الباب الثاني: سبب خلقك

الفصل 1: العبادة

قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) {8}

وقال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) {9}

وقال تعالى (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ) {10}

---

8. [سورة الذاريات 56]
9. [سورة البقرة 21]
10. [سورة النحل 36]

وقال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩) [سورة الحج 77]

وقال تعالى: (فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ) [سورة المؤمنون 32]

وقال تعالى: (۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا)

]سورة النساء 36[

ولكن قبل العبادة يأتي أمر لا يقل أهمية, بل هو اصل العبادة, وهو العلم الشرعي وطلبه، فكيف يتقي الله من لا يدري ما يتقي، وكيف يعبده من لا يدري كيف يعبده, فلا بد للمسلم ان يتعلم دينه ليرفع الجهل عن نفسه ويعبد الخالق حق عبادته

وهنا يلتفت الى امر مهم وهو من يؤخد منه هذا العلم.

فقال ﷺ: (إنَّما أخافُ علَى أمَّتي الأئمَّةَ المضلِّينَ) {صحيح الترمذي 2229}

وقال ﷺ: (إنَّ اللهَ لا يقبضُ العلمَ انتزاعًا ينتزعُهُ منَ النَّاسِ ، ولَكن يقبضُ العلمَ بقبضِ العُلماءِ ، حتَّى إذا لم يترُك عالمًا اتَّخذَ النَّاسُ رؤوسًا جُهَّالًا ، فسُئلوا فأفتوا بغيرِ عِلمٍ فضلُّوا وأضلُّوا){أخرجه الترمذي (2652) واللفظ له، وأخرجه البخاري (100)، ومسلم (2673) باختلاف يسير}

وقال تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا {64} خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا {65} يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ {66} وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ {67} رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا)

]سورة الأحزاب 64 – 68[

فعديد من العوام يعتقد بمجرد اتباعه فتوى شخص ملتحي أو يسمي نفسه شيخًا بهذا تبرئ دمته، ولكن الحقيقة على خلاف ذلك

فليس كل من هب ودب يؤخد منه الدين، بل يؤخد من علماء أهل السنة والجماعة الذي لا ينطقون بحرف إلا أتبعوه بقال الله قال رسوله.

كما قال ﷺ: (تركتُ فيكم أَمْرَيْنِ لن تَضِلُّوا ما تَمَسَّكْتُمْ بهما : كتابَ اللهِ وسُنَّةَ نبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ) {التمهيد 331/24}

الباب الثالث: حسن الظن

ثم اعلم – رحمك الله – كما ان سوء الظن من جنس عمل المنافقين ،فإن حسن الظن بالله من صفات المؤمنين

قال تعالى: (لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ)

وقال الامام السعدي رحمة الله عليه ،في تفسير الآية:

ثم أرشد الله عباده عند سماع مثل هذا الكلام فقال: { لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا } أي: ظن المؤمنون بعضهم ببعض خيرا، وهو السلامة مما رموا به، وأن ما معهم من الإيمان المعلوم، يدفع ما قيل فيهم من الإفك الباطل، { وَقَالُوا } بسبب ذلك الظن { سُبْحَانَكَ } أي: تنزيها لك من كل سوء، وعن أن تبتلي أصفياءك بالأمور الشنيعة، { هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ } أي: كذب وبهت، من أعظم الأشياء، وأبينها. فهذا من الظن الواجب، حين سماع المؤمن عن أخيه المؤمن، مثل هذا الكلام، أن يبرئه بلسانه، ويكذب القائل لذلك.

وفي حديث صحيح :سَمِعْتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، قَبْلَ وَفَاتِهِ بثَلَاثٍ يقولُ: لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إلَّا وَهو يُحْسِنُ باللَّهِ الظَّنَّ. {صحيح مسلم 2877}

فما رزق عبد خير من حسن الظن بالله، فهو السعيد حقًا وقد أنعم الله عليه بنعمة لا يداريها نعمة ،كيف لا وهي صلب خصال المؤمن ،وهو ما يقيس به المرء كمال إيمانه من نقصه

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : "والذي لا إله غيرُه ما أُعطي عبدٌ مؤمن شيئاً خيراً من حسن الظن بالله عز وجل، والذي لا إله غيره لا يحسن عبد بالله عز وجل الظن إلا أعطاه الله عز وجل ظنَّه؛ ذلك بأنَّ الخيرَ في يده» {كتاب حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا – ص 96}

وقال تعالى واصفًا حال عباده المؤمنين :(ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ {1} فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ)

]سورة آل عمران 173 – 174[

فرغم حصارهم وضعفهم إلا انهم احسنوا الظن بالله، فكان الجزاء أن نالتهم رحمته الواسعة ونعمته الفاضلة وأجارهم من كل سوء،

فمن أحسن الظن به لن يرد رجائه وسيفتح له أبواب رحمته ويغفر له اذا استغفر ويؤتيه سؤله اذا سأله ويجيب دعائه اذا دعاه ويعيذه مما تعوذ منه

وينزل عليه سكينته ويستر زلته ويعطيه حاجته وطلبه ،ولكن لابد من الامحتان والاختبار قبل ذلك ليميز الله الصادق ممن هو دون ذلك

الباب 4: أخطاء منتشرة حول حسن الظن

البعض يربط التمادي في المعاصي بحسن الظن بالله وهذا من جهله وضعف علمه بالله عز وجل ،كمثل قول بعض الحمقى:" أكثر ما استطعت من المعاصي اذا كان القدوم على كريم" وهذا من أشر الأقوال فقد ورد في أثر صحيح عن أبو سليمان الداراني يقول: «مَنْ حَسُنَ ظَنُّهُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ لَا يَخَافُ اللَّهَ فَهُوَ مَخْدُوعٌ»{كتاب حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا ص40}

فإن حسن الظن بالله يستلزم اجتناب نواهيه والإتيان بأوامره ،وهو أكثر ما يزيد خشية الله وتوقيره.

فكلما عرفت الله من اسماءه وصفاته حسن ظنك به وزدت خشية من غضبه وسخطه كما قال تعالى (وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)]سورة فاطر 28[

الجزء الثاني: المعرقلات

الباب الأول: الابتلاء

ومن أجلّ ما سمعت عن الابتلاء هو قول شيخنا الطريفي – حفظه الله – :ولهذا نقول ان الله عز وجل اذا انزل بلاء على الانسان لا يعني انه لا يحب العبد ولكن الله عز وجل بينه وبين عباده عقد ان الدنيا ليست لك، إن اصبتك فباذن الله عز وجل هو اختبار وابتلاء وان سلمك الله عز وجل في ذلك فاحمد الله سبحانه وتعالى وانما الكرامه عند الله جل وعلا هي سلامه الدين، ان يحفظ الله عز وجل لك دينك، واذا انتكس الانسان عند اي نوع من البلاء فهو إشارة على شيء من المنة، فكأنما يقول الم تبعني نفسك ومالك فلماذا تراجعت وانتكست اذا انت لست صادق ببيعتك لست بصادق في بيعتك. انتهى

ولكن للابتبلاء مسببات وهي:

الفصل 1: الذنوب

فإن الله من تمام كرمه وعدله أنه لا يغير نعمته التي أنعمها على عبده إلا إذا صدر من العبد ذنب واتخذ الخطوة الأولى من تلقاء نفسه. وهذا ظاهر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: 11]

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: 8-10]

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: 44]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30]

وقوله تعالى: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: 79]

وقوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [الحديد: 14]

رغم أن هذه الآية الأخيرة نزلت في المنافقين إلا أنه يُؤخذ منها عبرة عظيمة وموعظة بليغة.

تفسير ابن كثير:

"﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين: أما كنا معكم في الدار الدنيا، نشهد معكم الجمعات، ونصلي معكم

الجماعات، ونقف معكم بعرفات، ونحضر معكم الغزوات، ونؤدي معكم سائر الواجبات؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ أي: فأجاب المؤمنون المنافقين قائلين: بلى، قد كنتم معنا، ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ قال بعض السلف: أي فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ أي: أخرتم التوبة من وقت إلى وقت".

وحتى بالنظر إلى من قبلنا، فما أهلك قوم لوط، وما مسخ أهل السبت إلى قردة، وما أغرق فرعون وقومه وقوم نوح، وما خُسف بقارون، وما نزل العذاب على قوم عاد وثمود، وما أهلك قوم شعيب – لولا ذنوبهم وعصيانهم لأوامر الله واتخاذهم الخطوة الأولى من تلقاء أنفسهم.

ثم إن هذا الأمر لم يقتصر على عامة العباد فقط، بل حتى أنبياء الله وخاصته لم تغنهم نبوتهم عن الله شيئًا. فآدم عليه السلام طُرد من الجنة بذنب، وكذا يونس عليه السلام ابتلعه الحوت ودخل في بطنه لأنه عصى أمر الله.

فقال تعالى واصفًا فعل آدم وزوجه: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [سورة طه: 121]

وقال تعالى عن يونس عليه السلام: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة الصافات: 142-144]

ثم إنه سبحانه جل وعلا، من تمام رحمته ولطفه بعباده، أنه تاب عليهم وأرشدنا بقصصهم لنتعظ. فذكر لنا قومًا عصوه فنالهم عقابه، وقومًا أذنبوا فتابوا فتاب عليهم.

وزيادة على ذلك، سبحانه هو الكريم، لا يغفر لهم فحسب، بل يزيد على ذلك من فضله كما ظهر في تكملة الآيات. قال تعالى: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: 145-148]

ونفس الشيء تكرر مع آدم عليه السلام حين قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة: 37]

الفصل الثاني: الإيمان

جمع كبير من البشر يعتقدون مباشرة فور توبتك ستنقلب حياتك إلى جنة دنيوية، ولكن الحقيقة على خلاف ذلك. فقد قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا

الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة العنكبوت: 2-3]

فإذا تبت وأنبت إلى الله فاستعد لابتلاءات فيما تبت منه، ليمحص الله الصادق من الكاذب.

ثم إن محمد ﷺ، وهو خير الخلق وأكرمهم عند الله، لم يسلم من ابتلاءاته سبحانه. فقد أوذي من قومه أشد الأذى ورُمي بالحجارة، وسُبَّ وشُتم، وقُذف عرضه، واتُّهم بالسحر والصرع،

وأيوب عليه السلام ابتُلي أشد البلاء في بدنه. ونوح ابتُلي بعقوق ابنه وتكذيب رسالته. ولوط أوذي في ضيفه وعصته زوجه. ويوسف أُدخل السجن ظلمًا وحُرم من أبيه.

فكلما كان الإنسان أصلح، وكلما كان أقوى دعوة إلى الله، وكلما كان أشد تمسكاً في دين الله؛ كان له أعداء أكثر، قال الله تعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ [الفرقان:٣١].

وقال ﷺ إنَّا كذلِكَ ، يَشتدُّ علينَا البَلاءُ و يُضاعفُ لنَا الأجرُ فقالَ : يا رسولَ اللهِ ! أيُّ النَّاسِ أشدُّ بلاءً ؟ قالَ : الأنبياءُ ثمَّ الصَّالِحونَ ، و قد كانَ أحدُهم يُبتلَى بالفَقرِ ، حتَّى ما يجِدُ إلَّا العَباءةَ يجُوبُها فيلْبسُها ، و يُبتلَى بالقُمَّلِ حتَّى يقتُلَه ، و لأحدُهُم كانَ أشدَّ فرَحًا بالبَلاءِ ، من أحدِكم بالعَطاءِ {صحيح الأدب المفرد 395}

فهذه هي سنة الله الثابتة التي لا تتغير في خلقه .

نسأل الله الثبات

الفصل الثالث: فضل البلاء على أهله

فرغم ما تراه من عظيم المصائب التي تنزل على العبد المؤمن، والتي قد يرق فؤادك لسماعها ويتعب عقلك بالتفكر فيها – فما أدراك بعيشها! – إلا أنك تجده صابرًا وراضيًا، بل وحامدًا الله أنه جعله في طريق مَرَّ منه أنبياء الله ورسله،

بل وجمع من السلف "كانوا يتلذذون بالبلاء كما يتلذذ غيرهم بالنعماء، ولأنهم لو لم يبتلوا لتوهم فيهم الألوهية وليتوهن على الأمة الصبر على البلية، ولأن من كان أشد بلاء كان أشد تضرعاً والتجاء إلى الله تعالى" {كتاب مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ج5 ص256}

وهذا كله من رحمة الله الواسعة التي وسعت كل شيء، ومن عظيم لطفه بعباده أنه يقذف في قلب المؤمن المخلص المبتلى شيئًا من الاطمئنان، ويخلع من قلبه حب الدنيا وزخرفها، ويراها له على وجهها الحقيقي.

كما وصفه شيخ الإسلام رحمه الله حين هددوه إذا لم يتراجع عن قول الحق، فقال لهم: "ما أنتم فاعلون بي؟ فإن سجني خلوة، وتعذيبي جهاد، وقتلي شهادة."

فسبحان الله حين قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [سورة البقرة: 286]

وحين قال: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: 43]

وحين قال: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف: 156]

وكذلك قوله ﷺ: «عَجَبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له» [صحيح مسلم: 2999]

وكذلك قوله ﷺ: «ما يصيب المسلم من نَصَب ولا وصَب، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يُشاكها، إلا كفَّر الله بها من خطاياه» [صحيح البخاري: 5642]

وقال ﷺ: «لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في جسده وماله ونفسه حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة» [صحيح ابن حبان: 2913]

فاعلم – رحمك الله – أن البلاء من سِيَم الأنبياء والصالحين، فقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن

قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [سورة البقرة: 214]

الباب الثاني: انتكاسة الصالحين

الفصل الأول: معناها

الانتكاس عند كثير من العوام سطحي جدًا، فالأكثرية يظنون أنه من كان على رشاد ثم انغمر في المعاصي واللذات وترك الذكر والعبادات فهذا المنتكس.

ولكن هنالك انتكاسة أخرى خفية يغفل عنها الغالب، وهي أشد خطرًا من الانتكاسة الكبرى، والتي أسميها انتكاسة الصالحين، وهي الرجوع أو التقليل من العبادات، وشرها يكمن اذا لم تنتبه لها، فهي من خطوات الشيطان

فإن كنت أمس تقيم ليلك وتصوم نهارك وتحافظ على أذكارك ووردك، والنوافل عندك كمثل الفرض، واليوم ما بقي إلا الصلوات الخمس التي بحد ذاتها قد تقصر فيها وتستهين بطلوع وقتها – فهذا انتكاس.

وخطورته هي أنك لا تستشعر انتكاستك، بل وتظن أنك على الطريق الحق، على خلاف الانتكاسة الكبرى التي تكون ظاهرة ومحسوسة وأثرها على نفسك غليض.

فتظن أنك سليم ولكنك تُطبخ على نار هادئة، تَقُودُك نحوى الهلاك، فإما تنقذ نفسك قبل سقوطها ،وإما تتجاهلها فتنتهي بك نحو الانتكاسة الكبرى.

فإن الشيطان والنفس الأمارة بسوء لا يأتيانك بالكبيرة، فهم يعلمان عظمتها في قلبك، بل يهبطان معك من ترك المستحبات الى الانقاص من السنن، الى الاستهانة بالواجبات والفروض !! ومنثما الى موت القلب نسأل الله العافية.

الفصل 2: الوقاية منها

سبحان الذي جعل في القران شفاء وبيان لكل شيء، قال تعالى :(وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {1} إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ)

]سورة الأعراف 200 - 201[

فأخبرنا تعالى بالحل وهو الاستعاذة بالله ،فهي خير وقاية ودواء معًا.

وقال السعدي رحمه الله في تفسير الآية:

في أي حال يَنزغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نزغٌ أي: تحس منه بوسوسة، وتثبيط عن الخير، أو حث على الشر، وإيعاز إليه. فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ أي: التجئ واعتصم بالله، واحتم بحماه فإنه سَمِيعٌ لما تقول. عَلِيمٌ بنيتك وضعفك،

وقوة التجائك له، فسيحميك من فتنته، ويقيك من وسوسته، كما قال تعالى: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ إلى آخر السورة.

ولما كان العبد لا بد أن يغفل وينال منه الشيطان، الذي لا يزال مرابطا ينتظر غرته وغفلته، ذكر تعالى علامة المتقين من الغاوين، وأن المتقي إذا أحس بذنب، ومسه طائف من الشيطان، فأذنب بفعل محرم أو ترك واجب – تذكر من أي باب أُتِيَ، ومن أي مدخل دخل الشيطان عليه، وتذكر ما أوجب الله عليه، وما عليه من لوازم الإيمان، فأبصر واستغفر الله تعالى، واستدرك ما فرط منه بالتوبة النصوح والحسنات الكثيرة، فرد شيطانه خاسئا حسيرا، قد أفسد عليه كل ما أدركه منه. انتهى

ثم ان اكثر مايثبت القلب ويزيد عزيمته وإيمانه ويبعده عن الانتكاس والغفلة، هو دروس العلماء ومحاضراتهم ومجالس العلم

فان اكثر واقواهم إيمانًا – وهم صحابة رسول الله ﷺ – كانوا اذا خرجوا من مجلس مع محمد ﷺ وانخرطوا بالحياة قل إيمانهم

فعن حنظلة رضي الله عنه قال: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقالَ: كيفَ أَنْتَ يا حَنْظَلَةُ؟ قالَ: قُلتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قالَ: سُبْحَانَ اللهِ! ما تَقُولُ؟ قالَ: قُلتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يُذَكِّرُنَا بالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حتَّى كَأنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِن عِندِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه

وَسَلَّمَ، عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هذا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حتَّى دَخَلْنَا علَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، قُلتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يا رَسُولَ اللهِ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: وَما ذَاكَ؟ قُلتُ: يا رَسُولَ اللهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِن عِندِكَ، عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا، فَقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ، إنْ لَوْ تَدُومُونَ علَى ما تَكُونُونَ عِندِي وفي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ المَلَائِكَةُ علَى فُرُشِكُمْ وفي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. {صحيح مسلم 2750}

فأبو بكر الذي قال عنه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: لو وُزِنَ إيمانُ أبي بكرٍ بإيمانِ هذه الأمةِ لرجحَ بهِ

{الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف 61} واشتكى انه اذا فارق مجلس العلم – الذي هو مجالسة الرسول ﷺ – نقص ايمانه عن ماكان عليه، فما ادراك بنحن الضعفاء ،نسأل الله الثبات

والأمر الثاني هو القراءة في سير النبلاء والصالحين. فرغم كبر هممهم وكثرة عبادتهم ومبلغ علمهم، إلا أنهم أشد الناس خوفًا من الانتكاس والنفاق ومن حبوط العمل.

فبالنظر إلى حالهم تستوعب قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [سورة فاطر: 28]

وبهذا – بعد مشيئة الله – تثبت على الدين الثبات العجيب، وتتسع بصيرتك وتظهر لك حقيقة الحياة. والموفق حقًا هو من أنعم الله عليه بهذه النعمة التي لا تعادلها نعم الدنيا بأسرها.

الباب الثالث: سوء الظن

اعلم – رحمك الله – أن سوء الظن بالله ما هو إلا من جنس أعمال المنافقين،

فقد قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾

]سورة الفتح: 6[

وقال ابن القيم رحمه الله عن هاته الآية :" وَظَنَّ بِهِ مَا يُنَاقِضُ أَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ، وَلِهَذَا تَوَعَّدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الظَّانِّينَ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ بِمَا لَمْ يَتَوَعَّدْ بِهِ غَيْرَهُمْ،" {الداء والدواء ص138}

وقال تعالى واصفًا ضعفاء الإيمان المتخلفين عن الجهاد مع الرسول ﷺ :

)بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمُۢا بُورٗا {12} وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرٗا(

]سورة الفتح 12 – 13[

قال الامام السعدي رحمه الله:

يذم تعالى المتخلفين عن رسوله، في الجهاد في سبيله، من الأعراب الذين ضعف إيمانهم، وكان في قلوبهم مرض، وسوء ظن بالله تعالى، وأنهم سيعتذرون بأن أموالهم وأهليهم شغلتهم عن الخروج في الجهاد، وأنهم طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لهم، قال الله تعالى: { يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ } فإن طلبهم الاستغفار من رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على ندمهم وإقرارهم على أنفسهم بالذنب، وأنهم تخلفوا تخلفا يحتاج إلى توبة واستغفار، فلو كان هذا الذي في قلوبهم، لكان استغفار الرسول نافعا لهم، لأنهم قد تابوا وأنابوا، ولكن الذي في قلوبهم، أنهم إنما تخلفوا لأنهم ظنوا بالله ظن السوء

وقال تعالى ☹وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ(

وقال الامام السعدي رحمه الله عليه ،في تفسير الآية

{ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ } الظن السيئ، حيث ظننتم به، ما لا يليق بجلاله. { أَرْدَاكُمْ } أي: أهلككم { فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ } لأنفسهم وأهليهم وأديانهم بسبب الأعمال التي أوجبها لكم ظنكم القبيح بربكم، فحقت عليكم كلمة العقاب والشقاء، ووجب عليكم الخلود الدائم، في العذاب، الذي لا يفتر عنهم ساعة. {تفسير السعدي سورة فصلت – آية 23}

ثم اعلم – رحمك الله – أن سوء الظن من تلبيس الشيطان للمسلمين كما قال تعالى: (إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ) [سورة آل عمران 175]

وكذلك قال تعالى (ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ)[سورة البقرة 268]

فالخوف الشديد من المستقبل وتقلبات الحياة وماتخفيه في طياتها ،كل ذلك من سوء الظن بالله الذي يقذفه الشيطان في قلب المسلم كي يكدر عليه يومه وبهذا تقل عباداته وتزيد غفلته.

الباب الرابع: احتقار النفس واستصغارها

قال ﷺ: (لا يَحقِرَنَّ أحَدُكم نَفْسَه أنْ يَرَى أمْرًا للهِ فيه مَقالٌ، فلا يَقولُ فيه، فيُقالُ له: ما منَعَكَ؟ فيقولُ: مَخافةُ النَّاسِ، فيقولُ: فإيَّايَ كُنتَ أحقَّ أنْ تَخافَ!)

...

الباب الخامس: الهم والحزن

...

...

...

...

الجزء الثالث: المسببات

الباب الأول: مجلبات حب الله ورضاه

الفصل 1: طرق نيل محبة الله:

ان من لطف الله بعباده ومن رحمته الواسعة ،أنه بين لعباده الطرق المؤدية الى محبته وبين لهم ماينالله العبد من عظيم مكاسب اذا نال محبته فقال تعالى (قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ)

وقال الامام السعدي رحمه الله:

وهذه الآية فيها وجوب محبة الله، وعلاماتها، ونتيجتها، وثمراتها، فقال { قل إن كنتم تحبون الله } أي: ادعيتم هذه المرتبة العالية، والرتبة التي ليس فوقها رتبة فلا يكفي فيها مجرد الدعوى، بل لابد من الصدق فيها، وعلامة الصدق اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله، في أقواله وأفعاله، في أصول الدين وفروعه، في الظاهر والباطن، فمن اتبع الرسول دل على صدق دعواه محبة الله تعالى، وأحبه الله وغفر له ذنبه، ورحمه وسدده في جميع حركاته وسكناته، ومن لم يتبع الرسول فليس محبا لله تعالى، لأن محبته لله توجب له اتباع رسوله، فما لم يوجد ذلك دل على عدمها وأنه كاذب إن ادعاها، مع أنها على تقدير وجودها غير

نافعة بدون شرطها، وبهذه الآية يوزن جميع الخلق، فعلى حسب حظهم من اتباع الرسول يكون إيمانهم وحبهم لله، وما نقص من ذلك نقص.{تفسير السعدي}

ثم بين لنا رسوله الكريم ﷺ في حديث قدسي :"إنَّ اللَّهَ قالَ: مَن عادَى لي وَلِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شَيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ المَوْتَ، وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ." {صحيح البخاري 6502}

الفصل 2: ثمار محبة الله

قال ﷺ :إذَا أحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فأحْبِبْهُ، فيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فيُنَادِي جِبْرِيلُ في أهْلِ السَّمَاءِ: إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فأحِبُّوهُ، فيُحِبُّهُ أهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ له القَبُولُ في الأرْضِ. {أخرجه البخاري (6040)}

وهنا ملاحظة بسيطة: وهي انه قد يخطر ببال أحد الناس بعد سماع الحديث ،ان القبول شامل لكل بني آدم ولكن الحقيقة على خلاف ذلك ,فالقبول المعني هو محبة أهل الحق وأهل الصلاح وأهل الإيمان

والتوحيد لك ،والدليل قوله تعالى (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا)

]سورة مريم 96[

بل إن بُغض أهل الفساد والمعاصي لك ،هي شيء محمود فقد قال تعالى ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا {45} وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا(

]سورة الإسراء 45 – 46[

وقال تعالى ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ(

]سورة الزمر 45[

فإن من فطرة الله بالعباد أنه من تقابلت وتشابهت قلوبهم ،تحاببوا فيما بينهم ورأى كل واحد منهم الآخر مقبول ومحبوبًا.

نعود إلى موضوعنا وهو ثمار حب الله؛ فإن من اعظم الثمار وأجلها أن يوفقك للآخرة كما قال ﷺ: إنَّ اللهَ قسَّم بينكم أخلاقَكم كما قسَّم بينكم أرزاقَكم، وإنَّ اللهَ يُعطي الدنيا من يُحبُّ ومن لا يُحبُّ، ولا يُعطي الإيمانَ إلا مَن أحبَّ، فمن ضنَّ بالمالِ أن ينفقَه، وخاف العدوَّ أن

يُجاهدَه، وهاب الليلَ أن يكابدَه، فلْيُكثِرْ من قولِ : سبحان اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إله إلا اللهُ، والله أكبرُ، فإنهن مُقدَّماتٌ مُجنِّباتٌ ومُعقِّباتٌ، وهن الباقياتُ الصالحاتُ {السلسلة الصحيحة 482/6}

وكذلك يحميه فالدنيا من كل ما يضر دينه كما قال ﷺ: إذا أحبَّ اللَّهُ عَبدًا حماهُ الدُّنيا كَما يظلُّ أحدُكُم يَحمي سَقيمَهُ الماءَ{2036}

وبعد كل هذا يرزقه الله تعالى أعظم نعمة قد يتحصل عليها انسان في هاته الدنيا وهي العلم الشرعي فقال ﷺ :(مَن يُرِدِ اللَّهُ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ،) {صحيح البخاري 71}

فليس كثرة المال والحياة البهية علامة على حب الله للعبد، ولو كان كذلك لما كان الكفار والملحدين متمكنين في الدنيا، فالله تعالى يعطي المال من أحب ومن لا يحب، ولكن لا يعطي الإيمان إلا من يحب، فأول علامات محبة الله لك: أن الله تعالى جعلك مؤمنًا، ولم يجعلك كافرًا، فإذا رأيت نفسك تسير في طريق الصالحين، وتنهج منهجهم، وتحب مجالستهم، وتعمل كأعمالهم، فاعلم أن الله عز وجل قد أحبك، بأن أنار بصيرتك نحوى طريق الحق، فالزمه وعَضَّ عليه بالنواجذ، وأما إذا رأيت خلاف ذلك، فاعلم أنك تسير في طريق الشقاء والنار، والعياذ بالله.

الفصل الثاني: ماحيات الذنوب

...

...

...

...

الباب الثالث: التقوى

الفصل الأول: تعريفها

قال أبي عبد الله التونسي: "حقيقة التقوى عبارة عن امتثال المأمورات واجتناب المنهيات".{12}

ومن التعريفات الجميلة للتقوى التي ذكرها بعض المتأخرين: "التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل".{12}

وقال بن باز رحمه الله: "تقوى الله سبحانه، هي عبادته، بفعل الأوامر وترك النواهي عن خوف من الله وعن رغبة فيما عنده، وعن خشية له سبحانه، وعن تعظيم لحرماته، وعن محبة صادقة له سبحانه ولرسوله. {12}

الفصل الثاني: فضلها

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: ضاق بي أمر أوجب غماً لازماً دائماً, وأخذت أبالغ في الفكر في الخلاص من هذه الهموم بكل حيلة وبكل وجه, فما رأيت طريقاً للخلاص, فعرضت لي هذه الآية: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾ [الطلاق:2] فعلمت أن التقوى سبب للمخرج من كل غم, فما كان إلا أن هممت بتحقيق التقوى فوجدت المخرج. {13}

وقال تعالى: (بَلَىٰٓ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ)[سورة آل عمران 76]

---

12. كتاب التقوى تعريفها وفضلها ومحذوراتها وقصص من أحوالها [عمر سليمان الأشقر] الصفحة من 9 الى 11

13. كتاب صيد الخاطر ص 204

وقال تعالى: (۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ)[سورة آل عمران 133]

وقال تعالى: (إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ)[سورة الحجر 45]

وقال تعالى: (يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا)[سورة مريم 85]

وقال تعالى: (فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا)

[سورة مريم 97]

وقال تعالى: (وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ)

[سورة الشعراء 90]

وقال تعالى: (هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ)

[سورة ص 49]

وقال تعالى: (إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ)

[سورة الدخان 51]

وقال تعالى: (وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٖ)

[سورة ق 31]

وقال تعالى: (إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا {1} حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبًا {2} وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابًا {3} وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا {4} لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا {5} جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا)

[سورة النبأ 31 – 36]

الباب الثاني: مسببات غضب الله وسخطه

فان كل ما ثبت فيه وعيد أو جاء بالنهي ففعله موجب لحلول غضب الله بالعبد، وحاولت في هذا الباب جمعها

الفصل 1: الكفر والشرك

فقال تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا)

]سورة النساء 48[

وقال تعالى: (لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ)

]سورة المائدة 72[

وقال تعالى: (لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

]سورة المائدة 73[

وقال تعالى: (حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ)

]سورة الحج 31[

وقال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا)

]سورة النساء 136[

وقال تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا)

]سورة الأحزاب 57[

ثم ان أعظم الكفر وأشده وأشنعه هو سب الله أو سب الرسول أو سب كتابه, ومن أقوال الطريفي حفظه الله :" سبُّ الله تعالى كفر فوق كفر الأصنام."

أي : إن عابد الأصنام إنما عظم الأحجار ورفعها حتى تساوي الله لا أنه أنقص قدر الله حتى ساواها بالأحجار.

فوالله وتالله وبالله أن هذا الباب عظيم، ومن شدة خطورته لست أهلا لأخوض فيه، مخافة ألا أوفيه حقه، ولكن أردت أن أسلط الضوء عليه

وأنصحكم يا أختواه الإلتفات والنظر إلى كتاب "تعظيم الله تعالى وحكم شاتمه" لفضيلة الشيخ عبد العزيز الطريفي

وكذا كتاب "الصارم المسلول في شتم الرسول" لشيخ الإسلام

ففيهما من النفع الشيء العظيم.

ثم ان للاسلام نواقض من آتاها فقد كفر

قال الشيخ ابن باز – رحمة الله عليه – في نواقض الاسلام

الأول: من النواقض العشرة: الشرك في عبادة الله، قال الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ [النساء:48] وقال تعالى: إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ [المائدة:72] ومن ذلك دعاء الأموات والاستغاثة بهم والنذر والذبح لهم .

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعا .

الثالث: من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر .

الرابع: من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه، فهو كافر .

الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به فقد كفر؛ لقوله تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ [محمد:9]

السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر، والدليل قوله تعالى: قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ [التوبة:65، 66]

السابع: السحر ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى: وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ [البقرة:102]

الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [المائدة:51]

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ فهو كافر. لقوله تعالى: وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ [آل عمران:85]

العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ [السجدة:22] .

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف، إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطراً، وأكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه،

ويدخل في القسم الرابع: من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام أو أنها مساوية لها، أو أنه يجوز التحاكم إليها، ولو اعتقد أن الحكم بالشريعة أفضل أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو أنه كان سبباً في تخلف المسلمين، أو أنه يحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شئون الحياة الأخرى.

ويدخل في الرابع أيضاً: من يرى أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق، أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر، ويدخل في ذلك أيضاً كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما، وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة؛ لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرمه الله إجماعاً، وكل من استباح ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة، كالزنا والخمر والربا والحكم بغير شريعة الله فهو كافر بإجماع المسلمين.

{نشر هذا الموضوع في مجلة البحوث الإسلامية بالرياض العدد السابع الصادر في الأشهر (رجب وشعبان ورمضان وشوال عام 1403هـ)، (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز 1/ 130)}

الفصل الثاني: الذنوب الثابتة بالوعيد

العديد من عوام المسلمين يعصي الله وقد يتخذ ذلك عادة وهو لا يدري حكمها في الشرع

بل الادهى والأمر تجد من يقع في كبائر الذنوب، كالإسبال{1} وعدم التنزه من البول أعزكم الله {2} وغيرها، فكما هو معلوم أن الكبائر لا تغتفر مع باقي ماحيات الذنوب، بل تتطلب توبة من الذنب بعينه.

---

1. وقال (1) النبي و ما أسفل من الكمبين من الأزار فهو في النار . وقال (٢) عليه الصلاة والسلام و لا ينظر الله إلى من جر ازاره بطراً». وقال (٣) عليه الصلاة والسلام : و ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يز كيهم و نهم عذاب أليم : المسبل والمنان والمنفق سلعته بالخلف الكاذب . . وفي الحديث أيضاً : « بينا رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل رأسه يختال في مشيه إذ خسف به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة . . وقال عليه الصلاة والسلام ٤) و من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة ، ، وقال : الاسبال في الازار والعمامة منجر شيئاً منها خيلاء لم وقال عليه (1) الصلاة والسلام : بازرة المؤمن إلى نصف ساقيه ولا حرج عليه فيما بينه وبين الكعبين ، ما كان أسفل من الكعبين فهو في النار) . كتاب الكبائر لشمس الدين الذهبي الصفحة 215
2. قَالَ الله تَعَالَى {وثيابك فطهر} وَعَن ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا قَالَ مر النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم بقبرين فَقَالَ إِنَّهُمَا ليعذبان وَمَا يعذبان فِي كَبِير أما أَحدهمَا فَكَانَ يمشي بالنميمة وَأما الآخر فَكَانَ لَا يستبرئ من الْبَوْل أَي لَا يتحرز مِنْهُ مخرج فِي الصَّحِيحَيْنِ وَقَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم استنزهوا من الْبَوْل فَإِن عَامَّة عَذَاب الْقَبْر مِنْهُ رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيّ ثمَّ إِن من لم يتحرز من الْبَوْل فِي بدنه وثيابه فَصلَاته غير مَقْبُولَة وروى الْحَافِظ أَبُو نعيم فِي الْحِلْيَة عَن شقي بن ماتع الأصبحي عَن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ أَرْبَعَة يُؤْذونَ أهل النَّار على مَا بهم من الْأَذَى يسعون مَا بَين الْحَمِيم والجحيم وَيدعونَ بِالْوَيْلِ والثُّبُور وَيَقُول أهل النَّار لبَعْضهِم الْبَعْض مَا بَال هَؤُلَاءِ قد آذونا على مَا بِنَا من الْأَذَى قَالَ فَرجل مغلق عَلَيْهِ تَابُوت من جمر وَرجل يجر أمعاءه وَرجل يسيل فَمه قَيْحا ودماً وَرجل يَأْكُل لَحْمه قَالَ فَيُقَال لصَاحب التابوت مَا بَال الْأَبْعَد قد آذَانا على مَا بِنَا من الْأَذَى فَيَقُول إِن الْأَبْعَد مَاتَ وَفِي عُنُقه أَمْوَال النَّاس ثمَّ يُقَال للَّذي يجر أمعاءه مَا بَال الْأَبْعَد قد آذَانا على مَا بِنَا من الْأَذَى فَيَقُول إِن الْأَبْعَد كَانَ لَا يُبَالِي أَيْن مَا أصَاب الْبَوْل مِنْهُ وَلَا يغسلهُ ثمَّ يُقَال للَّذي يسيل فَمه قَيْحا ودماً مَا بَال الْأَبْعَد قد آذَانا على مَا بِنَا من الْأَذَى فَيَقُول إِن الْأَبْعَد كَانَ ينظر كل كلمة قبيحة فيستلذها وَفِي رِوَايَة كَانَ يَأْكُل لُحُوم النَّاس وَيَمْشي بالنميمة ثمَّ يُقَال للَّذي يَأْكُل لَحْمه مَا بَال الْأَبْعَد قد آذَانا على مَا بِنَا من الْأَذَى فَيَقُول إِن الْأَبْعَد كَانَ يَأْكُل لُحُوم النَّاس يَعْنِي بالغيبة

فان المعاصي كما قال ﷺ من حديث أبي هريرة: إنَّ العبدَ إذا أخطأَ خطيئةً نُكِتت في قلبِهِ نُكْتةٌ سوداءُ، فإذا هوَ نزعَ واستَغفرَ وتابَ سُقِلَ قلبُهُ، وإن عادَ زيدَ فيها حتَّى تعلوَ قلبَهُ، وَهوَ الرَّانُ الَّذي ذَكَرَ اللَّه كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ {1}

ومن هذا الموضع أنصحكم يا إخوتاه بكتاب يسير وخفيف وهو الكبائر لشمس الدين الذهبي بحيث أن صفحاته محدودة وكلامه قليل، بل كله فقط احاديث وايات وآثار صحيحة.

---

1. أخرجه الترمذي (3334)، والنسائي في ((الكبرى)) (11594)، وابن حبان (2787) واللفظ لهم.

الباب الثالث اثر المحيط على الجوارح

كانت للعرب قديما مقولة تردد في كل مكان ومقال, وهي ان الانسان ابن بيئته, ولكن هنالك ماهو ادق منها واشمل, وهي: المرء يفيض مما ملء به سمعه وبصره.

فمن اكثر السماع – حتى بدون المخالطة والمجالسة – مع أهل المعاصي تشبع فكره بنجاسة افعالهم ولو كان مجاورا لابي بكر وعمر, فتتغير عدسة عيناه الى مالا يحمد عقباه, فيصبح حشرة تطوف حول كل ما انتثرت ريحه, عابدة لهواها, تبصر الواقع على غير وجهه, ولذلك امرنا الله تعالى في قوله: وقد نزل عليكم في الكتاب أن ادا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتا يخضوا في حديث غيره. النساء 140,فان القلب ما سمي قلبا الا لشدة تقلبه وسهولة ميوله وانحرافه.

وكما ان السماع والانخراط باهل الفساد يفسد, فان السماع والانخراط باهل الصلاح يصلح, كما قال تعالى : وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه دلك بانهم قوم لا يعلمون. التوبة 6

وقص على دلك في كل مجال, فمن شاء فصاحة أكثر الانصات ومجالست أهل الأدب واللغة, ومن شاء هداية أكثر من سماع محاضرات العلماء الربانين وحضور مجالسهم ومخالطة أخيار تلامدتهم, ومن أراد ضياعا لدينه ودنياه, وعقله وفؤاده, وانحراف فكره وتعفن خلقه فليلزم مجالسة عامة الحمقى والجهال, ولن يلاحظ سوء مجالسته لهم الا بعد ضياع عمره وفناء جسده وتدني فكره ووعيه, فلا منقد له من بعد دلك الى ادا بعت الله له من ينير بصيرته رحمة من لدنه.

هدا والله اعلم وادرى

الباب الخامس التوبة

....

....

....

المنهج المتبع والفهرس:

رتبت هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء أساسية، تتفرع منها أبواب وفصول عدة

أ- التأسيس: وفيه بيان الأصول العقدية التي لا يستقيم قلب مرء إلا بها.

ب- المعرقلات: وفيه ذكر العوائق والعقبات التي تعترض العبد في سيره إلى الله.

ت- المسببات: وفيه بيان الأعمال الموجبة لمحبة الله ورضاه، والأعمال والأحوال الموجبة لغضبه وسخطه .